بسم الله الرحمن الرحيم

١١١ - سورة المسد

ويقال سورة أبي لهب ، مكية وآيها خمس .

obeikandl.com

بسم الله الرحمن الرحيم

القول فى تأويل قوله تعالى :

[١] (تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ)

[٢] (مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ)

[٣] (سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ)

[٤] (وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ)

[٥] (فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ)

« تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ » أى خسرت يداه ، وخسر هو . واليدان كناية عن الذات والنفس ، لما بينهما من اللزوم فى الجملة ، أو مجاز من باب إطلاق الجزء على الكل . وجملة (وتب) مؤكدة لما قبلها ، أو المراد بالأولى خسرانه فيما كسبه وعمله بيديه، حيث لم يفده ولم ينفعه . وما بعده عبارة عن خسرانه فى نفسه وذاته؛ لأن سعى المرء لإصلاح نفسه وعمله. فأخبر بأن محروم منهما ، كما تشير له الآيتان بعد : أعنى هلاك عمله وهلاك نفسه . وقال ابن جرير[1]: كان بعض أهل العربية يقول قوله : (تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ) دعاء عليه من الله . وأما قوله : (وَتَبَّ) فإنه خبر . أى عما سيحقق له فى الدنيا والآخرة . وعبر عنه بالماضى لتحققه .

وأبولهب أحد عمومة النبىّ صلى الله عليه وسلم ، واسمه عبد العزّى . وقد اشتهر بكنيته وعرف بها لولدٍ له يقال له لهب . أو لتلهب وجنتيه وإشراقهما . مع الإشارة إلى أنه من أهل النار ، وأن مآله إلى نار ذات لهب . فوافقت حاله كنيته ، فحسن ذكره بها .

(١) انظر الصفحة رقم ٣٣٦ من الجزء الثلاثين (طبعة الحلبىّ الثانية) .

قال الرواة : كان أبو لهب من أشد الناس عداوة للنبيّ ﷺ . وأذية له وبغضة له وازدراء به وتنقصا له ولدعوته . ومات على كفره بعد وقعة بدر ولم يحضرها . بل أرسل عنه بديلا . فلما بلغه ما جرى لقريش مات غما ـ وقد روى الشيخان [١] عن ابن عباس قال : لما نزلت [٢] (وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ) صعد النبيّ ﷺ على الصفا ونادى : يا بنى فهر ! يابنى عدىّ ! (لبطون من قريش) حتى اجتمعوا . فجعل الرجل إذا لم يستطع أرسل رسولا، لينظر ما هو . فجاء أبو لهب وقريش فقال : أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلا بالوادى تريد أن تغير عليكم ، أكنتم مصدقىّ ؟ قالوا : نعم . ما جربنا عليك إلا صدقا . قال : فإنى لكم نذير بين يدىْ عذاب شديد . فقال أبو لهب : تبًّالك سائر اليوم . ألهذا جمعتنا ؟ فنزلت هذه السورة.

وروى الإمام أحمد [٣] عن ربيعة بن عباد الديلىّ قال : رأيت النبيّ ﷺ فى الجاهلية فى سوق ذى المجاز وهو يقول : يا أيها الناس ! قولوا : لا إله إلا الله ، تفلحوا . والناس مجتمعون عليه . ووراءه رجل وضىء الوجه أحول ، ذو غديرتين ، يقول : إنه صابئ كاذب . يتبعه حيث ذهب ، فسألت عنه فقالوا : هذا عمه أبو لهب . وفى رواية له : يتبعه من خلفه يقول : يا بنى فلان ! هذا يريد منكم أن تسلخوا اللات والعزى وحلفاءكم من الجن ، إلى ماجاء به من البدعة والضلالة . فلاتسمعوا له ولاتتبعوه . « مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ » أى أىّ شىء أغنى عنه ماله وما كسبه من سخط الله عليه وخسرانه . فكسبه هو عمله الذى يظن أنه منه على شىء . وقيل : ولده . لقرن الأولاد بالأموال فى كثير من الآيات . وكانت العرب تعد أولادها للنائبات كالأموال ، فنفى إغناءها عنه حين حل به التباب .

---

(١) أخرجه البخارىّ فى : ٦٥ ـ كتاب التفسير ، ١١١ ـ سورة المسد ، ـ حدثنا يوسف بن موسى ، حديث رقم ٧٣٩ .

وأخرجه مسلم فى : ١ ـ كتاب الإيمان ، حديث رقم ٣٥٥ (طبعتنا) .

(٢) [٢٦ / الشعراء / ٢١٤] . (٣) أخرجه بالصفحة رقم ٣٤١ من الجزء الرابع .

قال الشهاب : والذى صححه أهل الأثر أن أولاده ، لعنه الله ، ثلاثة : معتب وعتبة وهما أسلما . وعتيبة (مصغراً) وهذا هو الذى دعا النبىّ ﷺ لما جاهر بإيذائه وعداوته ، ورد ابنته وطلقها . وقال صلوات الله عليه وسلامه : اللهم سلط عليه كلبا من كلابك . فأكله السبع فى خرجة خرجها إلى الشام . وفيه يقول حسان[1] رضى الله عنه :

من يرجعُ العـــامَ إلى أهلِهِ ... فما أُكِيلُ السَّبْعِ بالراجِعِ

ثم قال . ولهب هو أحد هؤلاء فيما قيل ، قال الثعالبىّ : ومنه يعلم أن الأسد يطلق عليه كلب . ولما أضيف إلى الله ، كان أعظم أفراده « سَيَصْلَىٰ نَاراً ذَاتَ لَهَبٍ » أى توقد واشتعال ، وهى نار الآخرة ، جزاء ما كان يأتيه من مقاومة الحق ومجاحدته « وَٱمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ » أى وسيصلاها معه امرأته أيضا : فـ (امرأته) مرفوع عطفا على الضمير فى (سيصلى) أو على الابتداء ، و (فى جيدها) الخبر . وقرئ (حمالة) بالنصب على الشتم والذم ، وبالرفع نعتاً أو بدلًا أو عطف بيان . إنما قيل لها ذلك لأنها كانت تحطب الكلام وتمشى بالنميمة . كما قاله مجاهد وعكرمة وقتادة .

قال الزمخشرىّ : ويقال للمشّاء بالنمائم المفسد بين الناس ، يحمل الحطب بينهم ، أى يوقد بينهم ويورث الشر ، قال[2] :

من البيضِ لم تُصْطَدْ على ظهرِ لأْمةٍ ... ولَمْ تَمْشِ بين الحىّ بالحَطَبِ الرَّطْبِ

يمدحها بأنها من البيض الوجوه وأنها بريئة من أن تُصْطَادَ على سوء ولؤم فيها . ومن أن تمشى بالسعاية والنميمة بين الناس . وإنما جعل رطباً ليدل على التدخين الذى هو زيادة الشر . ويقال : فلان يحطب على فلان ، إذا أغرى به .

---

(١) لم أعثر عليه فى ديوان حسان ، فى طبعتيه .

(٢) استشهد به فى الكشاف فى تفسير السورة .

واستشهد به فى اللسان بالمجلد الأول بالصفحة رقم ٣٢٢ (طبعة بيروت) .

وقال : يعنى بالحطب الرطب ، النميمة .

قال الشهاب : وهى استعارة مشهورة لطيفة ، كاستعارة حطب جهنم للأوزار .

قال ابن كثير : وكانت زوجته من سادات نساء قريش ، وهى أم جميل ، واسمها (أروى) بنت حرب بن أمية . وهى أخت أبى سفيان وعمة معاوية . وكانت عونا لزوجها على كفره وجحوده وعناده « فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ » قال الإمام رحمه الله : أى فى عنقها حبل من الليف . أى أنها فى تكليف نفسها المشقة الفادحة ، للإفساد بين الناس وتأريث نيران العداوة بينهم ، بمنزلة حامل الحطب الذى فى عنقه حبل خشن ، يشدّ به ما حمله إلى عنقه ، حتى يستقل به . وهذه أشنع صورة تظهر بها امرأة تحمل الحطب ، وفى عنقها حبل من الليف ، تشد به الحطب إلى كاهلها ، حتى تكاد تختنق به .

وقال أيضا : قد أنزل الله فى أبى لهب وفى زوجته هذه السورة ، ليكون مثلا يعتبر به من يعادى ما أنزل الله على نبيه ، مطاوعة لهواه وإيثارا لما ألفه من العقائد والعوائد والأعمال ، واغتراراً بما عنده من الأموال ، وبما له من الصولة أو من المنزلة فى قلوب الرجال ، وأنه لا تغنى عنه أمواله ولا أعماله شيئا . وسيصلى ما يصلى . نسأل الله العافية .